

رميةُ نَرْدٍ حُرَّة

الكتاب: رميةُ نَرْدٍ حُرَّة
المؤلف: سامي المسلماني
شعر

الناشر:
جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية
info@jidar.net | www.jidar.net
الطبعة الأولى 2025

الترقيم الدولي: **978-1-326-23380-8**
التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

A free roll of the dice

Author: Sami Al Messelmani

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions.

ISBN: 978-1-326-23380-8

سامي المسلماني

رميةُ نَرْدٍ حُرَّة

شِعر

المحتوى

طاولات

لستُ رساماً
لكن يمكنني أن اكتب الألوان
سيقول القارئ: هذا الفتى مجنون
ويقول عازف الناي: الثقوب أرجوحة الهواء،
ويقول عازف الكمنجة: أناتي فرار نحو الجَمال،
ويقول عازف القيثارة: جنون الأوتار عقل آخر.

لستُ مطالباً بأن أثبت لأحد
أني عاقل جدا،
لست مطالباً بأن أثبت لأحد
أن ثيابي مازالت منشورة
على حبل الغسيل تحت الشمس مباشرة
يداعبها نسيم يعرف رائحتي جيّداً.
فقط سأصعد فوق الطاولات
لأرى الحياة من زاوية أخرى.

أصعد فوق طاولة المطبخ
فأرى النمل يعمل
وهو لا يعلم أنه يسرق طعامي.
أصعد فوق طاولة مكتبي

فأرى الكتب المبعثرة على الأرض وهي تلهث
تريد العودة إلى رفوفها.
أصعد فوق طاولة مكتب المدير
فأرى الأنسان أقصر من ظله.
أصعد فوق طاولة المطعم
فأرى الصحون تئنّ وهي تسمع ضجيج الأضراس
الّتي لا تشبع.
أصعد فوق طاولة الحانة
فأرى القوارير الخضراء
ترقص بين بقع ضوء
تستعدّ للرّحيل...

الآن،
تصعد النار البيضاء إلى رأسي
لم تعد الطاولات تكشف عن الزوايا المخفيّة،
رحلت الأضواء الباهرة
واختفت الحياة
تحت طاولة
مهجورة
في
اسطبل.

مثل قطّي الأسود
أسقط في الفراغ،
أفترش سجّادةً لا تطير،

تحت طاولة قديمة
وأراقب معه الفئران الصغيرة
تخرج من جحورها
وتتقافز حول تمثال
لقطعة جبن سويسريّ
أصيل.

حقيقة

ذات خريف منسيّ،
سقطتُ من الجنة،
رغم
أني لم أُغضب الرب،
وجدت نفسي في مرج
أخضر،
تلفّني حروبٌ خفيّة،
فيأكل الرماديُّ كلَّ شيء،
رفعتُ
رأسي إلى السماء،
لم تكن زرقاء،
حجبتها غربان قابيل،
نظرت حولي،
رأيت سوراً أبيض يمتد عالياً،
رأسي الصاخب قال لي أنه سور
مقبرة.

قلبان

ينشطر قلبي نصفين،
نصفٌ يراقبُ الطريق،
ونصفٌ يؤنس أبي تحت الطريق،
السير كالوقوف،
كل الأضداد تستوي
وتصبُّ في بؤرة سوداء
تماماً أو بيضاء تماماً،
لا يهم، الأبيض كالأسود
يتلعثمان أمام قبر أبي!

سياسة

على شاشة زرقاء،
يتكلم صاحب ربطة العنق الأنيقة
دون توقف..
أقول في نفسي:
يمكنني أن أقول تلك الأفكار
وأنا صامت،
يمكنني أن ازركشها بنمنماتٍ أجمل،
بل يمكنني أن أرسم فوق كل حرف تويج زهرة وورقة خضراء...
لكني، حينها،
قد أضيع،
كل ذاك الكلام سيكون جدراناً لا نهائية من الضباب،
تغادرني ذاتي وتختفي وراءها...
حينئذ،
أخجل من المرآة،
سأرى وجهي وجوهاً مشوهة
رغم أن المرآة سليمة
ولم يصبها أي حجر..
حتى وأن أغمضت عينيَّ
ستنتصب أمامي مرآة الاعماق
وتقول لي:
أنت لست أنت، غادرني وأبحث عن نفسك
خارجي!

لون..

هنا، على هذه البقعة
الصغيرة من الأرض،
ما زلتُ أبحث عن لون
الحياة،
قال لي الحكيم:
لن ترى شيئاً، سيصيبك العمى.
لكني لم أيأس،
ما زلت أفرك عينيّ كل صباح
وأمسح لعاب الذهول
السائل على ذقني
كالفضيحة.
قال لي الطبيب:
من ينظر إلى الجموعِ لا يرى أحداً.
لكني لم أيأس،
رسمت الحروف في هيئة بشر
وفصَلت بينها
بفواصل غليظة،
أنظر مليّاً إلى كل حرف إنسان،
استنطق ملامحه
مستعيناً برؤى الرائي
ونبوءات

الفراشات.

قال لي الراعي:

لقد ذهبتْ شاتُك بعيدا يا ولدي.

لكني لم أكفر بغواية الألوان،

أخذت أرعى غيماتٍ بيضاء

في حقل أزرق

تحت قبة ذهبيّة.

لن أفكر طويلاً في الغبار

الذي يحارب بصري..

لن أشتري شيئاً من باعة الوهم،

لأني فقير

وأخاف عمى الألوان.

أبيض

لا وقت لديّ كي اتبادل الألوان مع الاخرين.
افضّل أن أحافظ على لوني الخاصّ،
أحميه من الشـمس الصّـاهدة ويلفّني مثل باقة زهور لا تذبل ولا تمنح عطرها للتّجارب المخبريّة المهينة.
الأبيض يتبعني أكثر من ظلّي، يحوم حولي، ليلاً، كغراب ينتظر جيفة، ويحصي حركاتي، نهاراً، كجاسوس يتفانى في عمله.
في البداية كأن قماطاً يعصر جسدي الصّغير الباكي ويهيّئني لتحمّل محطّات الفزع القادمة،
وربما أقنعني عبر الألم أن الحليب ليس الوحيد الّذي يُراكم اللحم فوق عظامي وليس الأبيض المتفرّد في البناء.
مع غليان الرجولة في دمي، كبر الأبيض أمام ناظريّ مثل جبل جليد يشـمخ عالياً كلّما اشـتدّ وهج الشـمس. يراكم البرد مثلما أراكم وجوهاً تروح وتغدو كعقارب سـاعة كبيرة نسـوها أهلها معلّقة على جدار لا يتّكئ عليه أحد.
الآن، أنا أستعدّ للأبيض الأخير كي أنحدر بين الأيادي نحو الأسفل،
الأبيض الأخير يبدو أبيض جداً كفراغ ملهم بنصّ تنغلق عنده الدائرة.
في الأسفل تستقبلني حشرات أليفة، بيضاء أيضاً، تأكل الأعباء فوق ظهري وتحرّر رغباتي السـجينة. كم هي جميلة وسـاحرة! تتلألأ في العَتمة كماسات نادرة.
الآن فقط أصبحت نادراً ومضيئاً حقاً.

مسحوق

الشمس ساطعة
كَثور يهاجم رايةً حمراء..
تحت شجرة زيتون معتّقة
أجلس مأخوذاً بأنفاس التراب،
أمامي يمتدّ حبل غسيل
يربط بين جدارين فتيّين
بُنيا خصّيصاً لمحاصرة النهار،
على حبل الغسيل، أرى السماء منشورة
كغطاء ترهّلتْ زرقته،
"ديكسان، المسحوق الافضل للحفاظ على الألوان!"
هذه الجملة المثيرة سمعتها مرّات تخرج من فم جميل لحسناء شديدة النظافة!
لكنّ أسئلة حارقة لم تخرج بعد من فمي
وما فتئت تنطح جدران الروح بقرونها الثائرة:
هل تستطيع حبّات السبحة أن تصبغ السماء بلون موحّد؟
هذا الطواف الأزليّ إلى أين يأخذ أرواحنا المنهكة؟
كم سجدة تراها السماء خلطة بارعة لمزيد من الصعود نحوها؟
أيّ مسحوق هذا الذي قد يحافظ على لون السماء؟

مثنى

أنا، تقريبا، لم أعد أنتظر شيئاً.
كل من يحيط بي
ينظر اليّ ولا يراني.
أتفهّم، جيداً، سبب ذلك.
قلبي الأيمن ينافس
الأيسر في سرعة الخفقان،
يكاد، دون أن اشعر أحياناً، أن يغادر
صدري نحو سماوات اخرى.
لن يراني كل من ينظر إليّ
هذه حقيقة،
فأنا أعيش حياتين
بقلبين
وأنتظر موتاً واحداً.

هزيمة

جسدي
أربعة
جدران
باردة.
وجهي
ليس
لي.
أسير بأقدام الآخرين.
أحب البعيد.
يكرهني القريب.
أستعير مشاعري كي أبقى
واقفاً في المفترق.

زاوية

أنا مقتنع تماماً أن
الكلمات تأخذ اشكالاً
لا حصر لها،
تثور كثيران يتصاعد من كتل
لحمها عناد
لا يقاوم،
تتموّج كسمكات تُخاتل وهج الشمس
تحت ماء
لا يُتَنبّأ
بما يخفيه،
قطط برية تبرز مخالبها فجأة في أحلامي
التي لا تنتهي..
لكني مقتنع أيضاً أن أنشوطة راعي بقر
لا تكفي لاعتقال كل ثيران الرأس،
وصنارة واحدة عاجزة عن اطلاعي على
أسرار البحر،
وزاوية زرقاء لن تمنع عني أحلاماً ترتدي
كوابيسها.

فيروسات

الهواء بالأمس كان نقيّاً
يتسرّب إلى رئاتنا
هادئاً ومؤمناً معنا بأن الغد قريب كأرنبات
أنوفنا،
هواء الأمس لم يخدعنا،
يتطهّر ببطء بندى الفجر،
يتلمّس طريقه بين أوراق الشجر
كملاك أخضر،
يمرّ حذراً بين الجذوع فيلقي التحية
البيضاء،
يحترم سمعتَه البراقة،
يحافظ على تركيبته الناصعة...
يفعل كل ذلك خاشعاً قبل أن يدخل أجسامنا،
لا يميّز بين رواقيّ
أو
سفسطائيّ،
لا يجامل الخدود الورديّة،
لا يزدري الوجناتِ الشاحبة،
لا فرق عنده بين جبهةٍ نبتَ عليها الثوم
وجبهة تقارع الجدران..

الهواء اليوم
أصبح

كافراً
لا يفعل شيئاً
ومِهذارَ
كنبيٍّ
كاذب،
يتمرّغ في وحل،
عطور الأرض لا تحجب عفنه..
هل لذلك أصبح الغد وقتاً متأخراً
جداً كحلم؟!

ارتداد

في الخمسين،
أفكّر كثيراً في الماضي،
ألتفت إلى الوراء
وأحملق بعينين ذابلتين
أبحث عن آثار قدميّ،
عقلي الذي طالما أقنعني بأنَّ كل خطوة من خطواتي
لها ما يبرّرها
ينكمش، الآن، كإسفنجة بيدِ ساقٍ بخمّارة
قديمة، يمسح بها ما أنفلتَ من القوارير والافواه الضاحكة،
لم يعد يجد في الأوهام ما يفي بنضجه المتأخّر،
الحلول، التي كان يتلقّفها كثمار دانية تتساقط طوعاً
من أغصان فكرهِ،
اختفت فجأة في ظلام الظنّ والحَيرة،
كنت أقلب الصفحات بسرعة،
أعدو فوقها كساحر
وأخاتل الأسطر السوداء كخفّاش
كي أجد نفسي مراراً
أمام بياض جديد،
في الخمسين،
كل الصفحات ترتدي الأبيض
ولا يثيرني تغنّج الأسطر الراقصة..
في الخمسين،
أراجع دروسي جيداً

وأبحث لنفسي عن مكان ما بين السطور،
وقد أخترع لنفسي أوهاماً جديدة
كأن أعتبر خط النهاية الذي أراه بوضوح أمامي
مجرّد خط أفقيّ مستقيم
أضع على حافته قدميَّ
وأطأطئ رأسي منتظراً
صافرة
الانطلاق.

الرجال لا يبكون

الرجال لا يبكون،
عليَّ إذن أن أصطحب الجدار
في كل رحلة مع الريح
عليَّ إذن أن أخزّن دمعي
كرمانة..
الرمان كنز الدموع،
الأنبياء أوصوا خيرا بالرمان
وحرّموا إسقاطه على الأرض،
دموع الجنة يجب أن تؤكل كلها
لا دمعة تُسند إلى المجهول،
الأسطر المضيئة رفعت أشجار الرمان
فوق
ضيائها
وفوق
حروفها،
ألا ترى أن النخل اسودَّ غيرةً وحسداً؟
ألا ترى أن التمر لا يبكي
ويكره الماء؟
ألا ترى أن الطلح المنضود
قد غادر الجنة حزيناً؟
عليَّ إذن

أن أصدق المطر حين يُعمِّد الرمان
فارساً أصيلاً
على عرش الخريف.
الشعراء أيضاً إخوة الرمان
الكتوم،
لا يظهرون من عيونهم
إلا ما يرونه
على خدود حبيباتهم
ولا يجمعون إلا ما تساقط سهوا
من خُطاهم..
من أين جئتِ أنتِ إذن
كي تذبحي رحلتي بأهدابك
القاتلة؟
الرجال لا يبكون.
أنا لا أبكي الآن،
لكني أراك تجمعين ما تساقط
من رماني
و
تأكلينه.

متحف ومقبرة

فوق قمة جبل،
يتراءى من بعيد،
معماره فريد،
كأنه معبد بوذي رُكّب على كاتدرائية من القرون
الوسطى تلفعت بما يشبه مئذنة على رأسها الهلال والصليب
وأغصان شجرة مجهولة النسب، تدخله ترى الرؤوس المعلقة على
الخوازيق، مجانين يشربون الخمر، أقزام تتدرب على النطر
والسرقة، نساء يترنحن على إيقاع السامبا، وأخريات تركعن
عاريات، وآخرون يسجدون فوق سجاد من لحوم البشر، ومن
فتحة في السقف ترى الغربان والبلابل تحلق جنباً إلى جنب، وبين
الفينة والأخرى يسقط بعضها في فم أفعى بستة رؤوس، رأسها
السابع مرمي بجانب أرنب حديث الولادة ولكنه مازال مستعداً للَّدغِ
متى سنحتِ الفرصة..
ذاك المتحف تجاوره مقبرة تأكل منه ويأكل منها ويأكلان كل جناح
يهم بالرفرفة أو يداً ترتفع لتمسح دمعة!

نرْد

أسبح وسط النهر،
لا أهتمّ بتاتا بريحٍ غبيّة
تحاول إثارة الماء حولي،
وإغرائه بأن يصطفّ في طوابير من الأمواج المصطنعة...
حيل الريح،
رغم لفّها ودورانها المعكوس،
لا تنطلي على عقلي الذي غيّبتُه في تلافيف عالم ألقيته،
غير آسف،
في حفرة عميقة
أُعدّت خصّيصاً لدفن القمامة..
لن أنقطع عن السباحة،
لن أنظر إلى الضفتين
فأنا استمرئ شعوراً بأني رمية نرْد حرّة
لا اسم لها ولا عنوان.

وأخيرا

أجدادنا البدائيون
يجتمعون كل مساء،
يوقدون نيرانهم،
ويتحلقون حولها،
تعوي الذئاب من بعيد
فتخترق
الظلام
وتحلّ
في قلوبهم،
عندها يرفع أحدهم رأسه إلى النجوم
ويسرد قصةً،
فيدخل الآخرون عالم القصة
وينسون الذئاب.

أنا أيضاً أريد أن أفعل ذلك،
أن أسرد قصةً
على لسان كتابي الأخير،
دائما أفكر في كتابي الأخير،
حتى عندما بدأت في كتابي الأول
كنت أفكر في كتابي الأخير،
ربما لأنه الرَّحم الذي سأرحل إليه،
أو لأنه منديل الوداع الأبيض
والأخير.

لن أكون موجوداً حينها،
لكنّ كتابي الأخير سيروي قصتي
كاملة
في قصائد
أو في رواية
أو في سيرة ذاتية..
كل ذلك ليس مهما،
المهم أن تفتحه ابنتاي
في إحدى الأمسيات البدائية،
على ضوء نجمتين
أو شمعتين

أو على نار هادئة
قبالة بحر يغازله قمر خجول.

تدخلان الكتاب

وتقرأن معاً:
"الإهداء:
إلى ابنتيّ الحبيبتين،
لم يكن أبوكما سيّئاً
ولم يكن أيضاً مثالياً،
هو إنسان بسيط جداً،

فقط هو عاش داخل رأسه
أكثر مما يجب ربما،
بيد أنه لم يكفّ يوماً
عن حبّكما."

عبارة

في طفولتنا الهاربة،
يجتمع الأطفال في بطحاء الحيّ
كعصافير تؤمن بألوان الأرض،
تتردد على شفاهنا عبارة لا نملّها
ولا تتعب ألسنتنا ولا حناجرنا
لأنها، ربما، معجونة بماء ارواحنا الصغيرة،
"هيَّا نلعب"
كل إيقاعات العالم تنسابُ هادئة كنهر جبليّ منها،
كل الفضاءات الحالمة بالأجنحة والرفرفة آفاق لها،
كل حركاتنا وأصواتنا التي لا تعرف الحذر بذور لها..

كبرنا، الآن،
وماتتِ العبارة،
عبارة أخرى لا ننطقها لكنها تتبرعم فينا كنبتة شيطانية
وتخنقنا،
كل يوم أكثر
...
"هيَّا
ن
م
و
ت"

تعقيد

في إحدى المستعمرات الافريقية،
قالت المعلّمة لأحد أبناء المستعمرة:
"على اطفالكم أن يتعلموا القراءة والكتابة"
أجاب الرجل:
لا يمكن ذلك.
قالت:
لماذا؟
أجاب:
"إذا تعلَّم الأطفال مات الزعيم"
.....
في عالم الحيوانات يقول الذكر لأنثاه:
"أنا أفهمك وأنت تفهمينني،
أعرف ما تريدين وتعرفين ما أريد،
تعالي أجامعك كي يتواصل هذا الوضوح"

فراشة

هناك،
حيث الأفكار لا تصعد
إلى السطح،
أرى فراشة مضيئة
تصارع الظلام
فترفّ أجنحتها
كحشرجة
على فراش أبيض،
كغصّة
في حنجرة
متورّمة..
أحاول إقناع نفسي
بأنها، حقاً، فراشة ليلية،
لكنّ قلبي المنتفخ
يلحّ
على أنها
دمعةٌ شريدة
نبتت لها
أجنحة.

شجرة

على ضفة النهر،
أشجار حُبالى
تشابكت أغصانها
كغد آمن،
لغة الأوراق
تزيد الجذوع
انغراساً
وتمسكاً
بالتراب،
الهراء، لا مكان له
بينها،
القيامة، زمن عاجز
عن مخاتلتها،
الليل إشراقة أخرى
فرّت
من الظلام..
على الضفة الأخرى،
شجرة وحيدة ولكنها
تحلم،
تمتدّ أغصانها دون توقف
فوق الماء،
تختار شجرة فتيّة
وتتشابك معها،

الآن،
اكتمل الجسر
وقريباً تتسابق خطوات الضوء
فوقه،
وتخزّن فيه نملات شابّة
ضحكات مهرّبة
وبعض بريق،
الآن،
اكتمل الجسر
وبدأ الحلم
يفتح نوافذه
في رأسي.

لعبة الظلال

مازلنا بين سطرين:
الأول يمتد كإصبع يشير إلى قمر،
الثاني ينكمش كقنفد في مزاج سيء.
الظلال تبدأ يومها باكراً،
تغسل وجوهها بأباريق النور الأولى،
تمضغ خبزها الأسود في انتظار الأبواب المفتوحة،
تقبع تحت الأشجار وتتظاهر بالجمود
كأنها نمور تستعد
للقفز بين الأغصان
ومطاردة قردة الضوء.
قد أكون متفائلاً وأعطي لأيامي أعماراً جديدة
لكنّ سهراً يمتدّ دون أغنيات ما هو
إلّا ظلٌّ يخاتل الكلمات..
يقول المتشائل:
اكتب ولا تلتفت وراءك.
لكن ماذا أفعل إذا نادتني قرنفلة
ثبّتها ظلّها
تحت أسوار الماضي؟
يقول المتشائم:
إذا انغرست شوكة في عينيَّ لن تعنيني الظلال الممتدة
تحت شجرة في صحراء.
يقول المتفائل:
ظلي عباءةٌ تخفيني عن حرير الوهم..

أنا لا أقول شيئاً،
فقط أفكر بإمعان في لحظاتي الأخيرة
وبالتحديد في تلك اللحظة التي يندسّ فيها ظلّي
تحت لحافي في فراشي الأبيض،
لن أنهض في الصباح،
سأبقى مستلقيا وأطلب من ظلي أن يخرج
لاستقبال خيوط الشمس
وحيداً.

حوار صامت

" دعوني أنشر أصابعي بعيداً عن الرمل، عن استقامة السهم،
قريباً من موجة منهكة...الم يأت الفجر بعد؟؟؟
لم أكن أعرف ما يخبّئه الليل تحت وسادتي لكنني سأواصل مخاتلة الضوء
اللحظة، سأخون الليل بضوئكِ القادم من بعيد، وسأرتقي فوقي
روحاً سابعة تجوز الماء والضباب وسأخترق الأرض الاسفنجة
أعصر خمرها مداداً وأقلاما.
فهل ترافقني يا صاحبي؟
طبعاً طبعا..
ومضينا نُخاتل وقتنا كأن ليس في الأرض غيرنا وكأن النجوم خُلقت لنا ليس إلّا.
فهل نعود صغاراً ويعود إلينا ظلنا؟
أم فات الأوان فليس غير الرخام أمامنا؟
هناك.. بئر عميقة هناك.. لا تخف لن نسقط فيها.

طيبة

في طفولتي،
كان يحزنني كثيراً
صيدُ العصافير وقتل الزواحف
الصغيرة،
وقد تسيل دمعتي لوقوع فراشة بين
كفَّين صغيرتين،
أعشق الألعاب الهادئة التي لا تحتاج إلى القفز كثيراً،
وأخرج عن الوقت عندما أدخل كتاباً ممتعاً،
....
هذه الطيبة ما زالت تلاحقني مثل مرضٍ نادر
إلى درجة أني أرغب أحيانا في جعل الأسود
أبيضَ والطين خزفاً
والتراب ذهباً
والصحراء ماءً يترقرق..
أريد، دائماً، أن تشرق القلوب داخل الأجساد مثل فوانيس يتيمة في
كهوف آهلة بالخفافيش،
وأصبو كطفل لم يغير جلده إلى جزيرة من صفاء يتآخى فيها الذئب
مع الخروف والثعلب مع الأرنب..
سألني مرة صديق وعلى وجهه بهتة جادّة:
لماذا كل هذه الطيبة؟
نسيتُ، بماذا أجبتُ بالضبط عن سؤاله،

لكني أظن أني قلت له فيما معناه:

لأني لا أريد أن أموت!

أمكنة

قبل أن
أغادر..،
أريد أن أودِّع
المرفأ القديم
وأشكر نوارسه
التي لم اشكّ يوماً
أنها تحوم فوق البحر
ليس بحثاً عن سمك
وإنما لتسبر همومي
وتقتنصها هماً هما
ثم تبتلعها.
أريد أن أودّع الحقل
لأنه سمح لي
بتقليد وقفات أشجاره
ولم ير مانعاً في
تأملي المطوّل لأوراقها
الخضراء
والصفراء،
تلك الأوراق لم تطالبني
بالحبر
كأنت تفهم صمتي

وتستخرج كل عواصفي
بمجرّد أن يداعبها
نسيم.
أريد أن أشكر الجبل
سمح لي باعتلاء قمته
دون أن تعتلي ظهري
صخرةٌ واحدة
وفتح المدى أمامي
وألغى كل جدران
الوهم..
ضميري الآن صافٍ
كماء بئر لم يهتد إليه
صيّادٌ منكود الحظّ،
الآن أستطيع أن أغادر
جثّتي.

صخرة

موقعها جميل،
تنتصِب عاليةً على ضفة نهر،
وراءها لا ينقطع حفيف الأشجار،
أمامها يترنم الماء بألحانه السرية..
كل قدم تمرّ بها لها إيقاعها الخاص،
خطوات العشاق ليستْ كخطواتِ السكارى،
خطوات اليائسين ليست كخطوات الهاربين،
لكنّ أمراً ما يجمع بين تلك الخطوات،
كلها همهمات من دم ولحم..
تحبّ السكارى عندما يضعون فوقها قواريرهم،
تتشرّب قطرات الخمر المهدورة خلسة
وتخزّنها في جوفها للأيام القاتمة.
تحبّ العاشقين،
يختفون تحتها وينهبون قُبَلهم على عَجلٍ ويلحسون قطرات العسل
المنسيّة على تضاريس الأجساد،
كم هي فخورة بثقتهم الذهبية
وبلؤلؤ أوقاتهم ينثرونه حولها
وعليها أسماء وسهاماً
وقلوباً..
لم تحبّ اليائسين ولكنّها لم تكرههم أيضاً،

كانتْ، عندما يتكئون عليها، تلتزم بطبيعتها الجامدة وتتظاهر بقلقها
من أشعّة الشمس
التي تقتل آخر قطرات الندى
وربّما أصدرت أنيناً مكبوتاً يائساً تؤازر به ليلةً غاب قمرها.
هي تكره الهاربين، تراهم كائناتٍ غامضةً لم تحدّد ما وراءها ولم
ترسم طريقها نحو القلوب،
تحقد عليهم أحياناً
لأنهم دون أن يشعروا يُراكمون القطران في جوفها
ويقطعون ألسنة دربّتها منذ مئات السنين على الصمت.
هي لا تحتاج إلى الذهاب إلى المدينة،
المدينة تأتي إليها دائماً،
ليس مهمّاً ألّا يكون لها قلب،
يكفيها أن ترى القلوب الخفية
وأن تنبت حولها براعم
وأجنحة
كي تحلم مفتوحة العيون
وتطير وهي لا تفارق مكانها.

طين

تحت قشرة الرأس
يغلف الطين أديم أفكاري،
استبشرت بالمطر الأخير،
قلت:
سيفيض ماء النهر ويجرف معه الطين.
النهر يحوّل كل شيء إلى طمي يتوارى في الأعماق.
لكنّ مواسم المطر نادرة كوجه نرسيس وهائمة كسارق النار
وتائهة كمهرّب الأرواح.
ها هي الشمس تسطع كصخرة من صخور الجحيم،
يتصلّب طيني،
يتشقّق.
أقول:
سيبقى حلمي طازجاً كمطر قد يأتي خفيّاً وخجولاً. قد تنجّم من بين الشقوق شقيقةُ نعمان تحمرّ في بياض حضوري أو أقحوانة تحقن وجودي بأكسير الأجنحة أو وردة ترد مع شفاهي ينابيع الوجد المشتهى..
لستُ صوفيّاً
لكنّ الطين يخنق
أصابعي أيضاً
ويتمدّد كأفعى
تحت شمس

تغلي حممها في

وريدي

وأنا أكره أن أكون محجوباً عن وجهي

الآخر.

نقطة

على هذه البقعة الصغيرة
من الأرض
سيركٌ كبير..
أرجو أن تخرج الأُسودُ
عن السيطرة!

قسوة

الطبيب يضع سماعته على صدري،
لن يسمع الكثير،
لن يسمع سوى دقات باهتة
لا تختلف كثيراً عن دقات الساعة
الحائطية المعلقة على الجدار،
دقاتٍ بيضاء
مثل الجدار،
بل ربما أكثر برودة
ورتابة..
السماعة لن تفصح له عن شيء حتى وإن قال لي:
أنت بخير.
يعلّق الطبيب سماعته حول رقبته
ولكنه لا يسمع الأنين
الحارق
القابع
في صدري،
لا يرى ذاك السهم المارق عن قوسه مغروسا
في القلب
كروح خفية،
قد يرى الدماء في كل مكان
ولكنه لن يرى دمي
العميق يحفر نهره
ويتدفق
نحو قرنفلة

بعيدة..

كان على الطبيب أن يقول لي: ما بك؟

عوض أن يقول: أنت بخير.

قد لا أجيبه،

لكنه سيعرف بسهولة أني لست بخير

عندما يرى ظلي يبتعد عني

في واضحة النهار.

الأطباء يبقون رغم كل شيء شعراء الأجساد،

يدركون جيداً مدى قسوة أن يفارق الظل عاشقه،

ويعرفون كيف يسقط

العاشق حينها في العَتمة

ويغدو شبحاً

منطفئ القلب.

الأطباء أيضاً مثل الأنبياء

تسكنهم شفقة نادرة،

ربما، لذلك، أرى طبيبي يهرول نحو ظلي كي يقنعه

بالعودة إلي.

خلاصة

هنا،
على هذه البقعة الصغيرة من الأرض،
الليل والنهار متزامنان،
يأتيان متعالقين،
عجوز متكالبة على الهواء
تتأبّط ذراع رجل كريه الرائحة،
هي ليست معه
لأنها تفكر في سفح يقيها عُقاباً
يعشق الجثث،
هو ليس معها
لأن رأسه الصّغير
سافر بعيداً نحو جنة لا عجائز فيها!
هنا،
الليل يشبه النهار،
النهار يُحاكي الليل،
الفراشة حائرة:
هل تغطّ في سبات عميق؟
أمْ تفتح عينيها لنور
كالظلام؟!

ذهول

ذاهلاً عن نفسي،
أهيم خارجها،
وأبحث عنها،
تمتد المسافة بيني وبينها،
من بعيد لا أرى إلا فراشة ليل
يغطي جناحيها الغبار!

وصفة

لم يفلح أي حكيم في إعطائي وصفة تنقذني من نفسي،
هذه النفس ورم خبيث،
كأني بها تريد إشعال سيجارة تحت الماء،
وشرب قهوة فوق غمامة صيفية،
وأكل لحم خروف طري في مملكة أسُود.
الوقت عدّاءٌ ماهر،
تجاوز كل الخطوط الحمراء،
كأني به يطير بي نحو ذاك الخطّ الأبيض، خطّ النهاية..
في شبابي،
كنت أشاهد أفلام الحروب والحركة بكثرة،
كأن الموت مجرّد مشهد خاطف وملوّن،
يموت الشرّير الأول فأفرح،
يُقتل الشرّير الثاني فأسترخي على مقعدي وأتنفّس الصعداء..
وعندما يأتي دور الشرير الأكبر، تتوقّف عينيَّ عن الرمش،
وتتسارع نبضات قلبي في انتظار اللحظة الحاسمة،
لحظة الذبح البطوليّ المهيب!
وكأن قلبي صخرة بريئة تتظاهر بالقسوة وتنتظر انفجار العيون منها.
الآن، أنا على عتبات المذبح العبثي،
أرى الموت خنزيراً بريّاَ في عجلة من أمره،
ونفسي وردةً ذابلة لا تعنيها مداعبة نحلة ولا حافر خنزير في عجلة من أمره.

ماء ومحرقة

على هذه البقعة الصغيرة
من الأرض أقتبس
الماء من مجمرة تحلم
بأنها
محرقة،
لا نار تطفئ مائي
رغم أني، على هذه البقعة الصغيرة من الأرض،
أُقاد يومياً إلى سوق النخاسة،
أياد كثيرة تريد اختطاف وجهي،
سماوات وطيئة تلعن أجنحتي،
أفواه نتنة تطلق أنفاسها على عطري..

على هذه البقعة الصغيرة من الأرض
نحتاج دائما إلى أن نلتفت إلى الوراء
كي نرى الطريق
أمامنا!

غربة

في قاعة الدرس،
اكتب العنوان بخط داكن السواد:
"تعليم المرأة فرض"،
من زجاج النافذة المكسور
تطلّ شمس خجولة
دون أن تقول لنا: "صباح الخير"،
السماء ليست معنا،
لكنّني أعرف أنها لن تأتي
لأنها كثيرة التردّد،
تغيم دائماً ولا تمطر.
أمامي يجلس التلاميذ برؤوسهم الكثيرة،
ينتظرون انتهاء الدرس بفارغ الصبر
كي يتابعوا دروساً أخرى
على التيك توك
وانستغرام
وفيس بوك..
أنا أعرف جيداً أن زمناً آخرَ
يمرّ خارج القاعة
لا يعترف بالجدران
زمنٌ يهزأ بالنوافذ المسيّجة
بقضبان الحديد.
أنا أعرف جيداً أن مسرحيات رائعة لن أشاهدها
وروايات خارقة لن أقرأها،

وأفلاماً مبهرة لن أسافر معها،
أنا أعرف جيّداً أن الحياة لن تنتظرني
وربما تقع دفعة واحدة
في مكان ما خارج
قاعة الدرس..
لكن
رغم ذلك
عليّ
أن أشرح الدرس للباب والجدران
والنوافذ،
عليهم جميعا أن يفهموا
أن
"تعليم المرأة فرض".

أزمنة

الوقت الذي نحتاجه كي نتدفأ بحطب الوهم
هو
نفسه ما نحتاج كي نحلم بكوخ يحيط به الربيع،
ارمِ كل أيامك وراء ظهرك،
أنطلق نحو وقت ينتظرك في منعطف ما،
فقط، لا تيأس،
كل الأزمنة بين يديك وأنت تطير،
اصنع جناحيك،
لا تفكر كثيرا في الريش،
الأوراق أجمل وأصلح للطيران.
أنا مجنون، أو أكاد،
أنت عاقل أو تكاد..
ليس مهما أيّنا الأكثر جنوناً،
ليس مهماً أيّنا الأوفر عقلاً،
المهمّ أن نحفظ ملامحنا جيداً أمام المرآة،
تحفظني وأحفظك،
تطير بي، أطير بك،
ولا باس في أن نزحف سويّا على ريش أفكارنا..
كل الأزمنة بين أيدينا
وفينا،
لماذا، إذن، لا تحيا الحياة
بنا؟!

امتلاء

اللغة بحر يجدّد ماءه وأسماكه وأصدافه كل لحظة،
يمتدّ من كهف البداية إلى الرَجل الآلة،
أنفاسها تمتزج بالأرواح المتصاعدة، منذ ما قبل
التفاحة، إلى كل السماوات،
وتتردّد هائمة، دون هوادة، بين الوهاد المخفية
والجبال المغرورة،
تلوّن الأشجار بأصبغة هلامية والصخور بدباغات لا تعرفها
الشمس ولم يتنبأ بها الظلّ،
كيف لكل هذه العوالم المتداخلة أن تحبل؟
كيف لهذا المارد المارق الماكر المتحول أن يمتلئ؟
أنا من جهتي، أقف على حافة الوهم واسمها عتبة ضلّت طريقها
إليّ،
أعتصر الوقت وأسمّي نسغه بداية حالمة،
أطوف بجذع شجرة وأسميه وتداً يحبل
السفح بجداول من حروف،
أنا، من جهتي، أنتظر دائماً أن أمتلئ كي أفيض!

أحداث

كلما وقع حدث
أرجو أن أبلغ منتهاه،
أقول للموجات الصغيرة المتلاحقة:
لم أهرم بعد، خذيني معك.
أقول أيضاً:
يا الله أطل عمري حتى أشهد
بلوغ السفينة الصغيرة
التي أراها الأن
مرفأها الآهل بالسكينة.
يا الله، لقد كذبت منذ قليل، قلت إني لم أهرم بعد
ولكنّ الحقيقة غير ذلك،
الأحداث بطيئة جداً
وأيامي خيول سباق مهووسة بخطوط
النهاية،
الأحداث البطيئة، يا الله،
تضحك الأن وأحيانا تقهقه
ساخرة من الرماد الأبيض في رأسي،
الرماد الأبيض يا الله
شاهد فاضح على احتراق أشجار
طالما سقيتها بمياه
اللهفة،
الأحداث البطيئة، يا الله،
مجموعة من المهرّجين تسير على الحبال

وأنا أصبحت أجد صعوبة في المشي على الأرض المسطّحة....

يا الله،

الأحداث غدت أكثر تشويقاً

وأنا أكاد أبلغ مصبّ نهر في خيالي،

المصبّ، يا الله، تمتزج فيه المياه المشوّقة بالمياه الهرمة

ولا أمل في التفرقة بينهما

فهبني، يا الله،

عيوناً تحت الأرض

حتى أرى نهاية الأحداث.

قتلة

الموت قبّعة
ملونة كقوس قزح،
نرتديها دائماً
ولا نخلعها تحت السقوف
العالية أو الوطيئة،
نتمسّك بها أكثر
أثناء الحفلات الرسمية
والأعياد الوطنية
حتى لا نغضب الليل
الأبدي..
نحن المنغمسون
في حيواتنا الخاصة،
الكل يتربص بنا،
القتلة يريدوننا
أن نموت دون إطلاق
رصاصة واحدة،
يحصدون شوك الوهاد
ويلقونه في طريقنا،
يحفرون قبورنا
وهم يضحكون
ويشربون الويسكي
ويأكلون الهامبورغر
ولا يعرفون اللون العموميّ

لمركبات الفقراء،
يقطفون الأزهار من حدائقنا
ويهدونها لعاهراتهم..
أولئك القتلة يطلبون
منا دائماً أن نشكرهم
لأنهم يجعلون موتنا أسهل،
يجعلون موتناً جميلاً ومبتسماً،
يريدوننا أن نمتدح كرمهم
لأنهم يجعلون موتناً عادياً
يجعلونه أمنية لامعة
ورغبة جامحة
لا ألم قبله
ولا خوف..
نحن سنموت لكننا، قبل ذلك،
سنطلق كل رصاصاتنا
على وجوهكم
أيها القتلة.

تزامن

[1]

أمامه شجرة
عظيمة،
تقفز فيها قرود
سود
بمؤخراتٍ حمراء
بارزة
من غصن إلى آخر.
في رأسه
مضارب كثيرة
وكرات حمراء
لا تهدأ.

[2]

إلى الآن ما زال
يبحث
عن نملة تدخل مغارتها
مبتسمة.
سجين في زنزانته
يبني
امبراطورية.

[3]

أياد كثيرة
وراء
الظهور
ترسم في الفراغ
دوائر.
صحن في مطبخ
رسمت عليه عينان جميلتان
غطّتهما بقايا طعام.

ثبات

في الأغلب
لا أريد أن أترك الدوائر
بيد
الغيب.
اشتهي، دائما، أن اكون
لوناً من ألوان
حقل
يهدهد فان غوغ،
أستهتر بالغيم الخجول
يرى الشرف في المحاولة
وأتطلع كطفل إلى تلك الحسناء
الثابتة وراءه،
كعبّاد الشمس
أراها وأوجّه وجهي نحوها
حتى وإن غطتها
الظنون.
الغيب كالليل
يتربص ببقايا
ضوء
يلاعب نهراً
نصف مائه
دموع مجهولة،
لذلك أرتب الكلمات

على صفحات من هواء
أتنفّسها كمشعوذ
وأنفثها كملاك
قبل
اللهاث الأخير.
أنا لست هنا، أقول للغيب،
وأحمل رأساً بين كتفيّ
وأضع آخر على رفٍّ مهجور
بين الكتب،
يمكنني، في أي لحظة
أن اعوّض المحمول
بالمهجور
كي أخاتل الغيب
وأتحايل عليه،
سأسخر منه حين
يقطف رأسي
المقطوع
عوضاً
عن رأسي
المعلّق
على شجرة.

هباء

كان بودي أن أبتسم في وجوه
الشعراء والرعاة،
أن أحتضن البحر وأغني له على إيقاع أمواجه،
أن أعدو على رمله دون توقف مدفوعاً بكل أحلامي وأحلامنا،
كنت أودّ أن أرفع رأسي نحو سماء مأهولة بزرقة حقيقية،
لكنّ الإحباط كان أرحب من صحارينا،
وخيباتنا أكثر من حبات رمالها،
فكيف إذن أسمي الأشياء بأسمائها وكل الأشياء فقدتْ أسماءها!

رأسان

رأسان في حقيبة،
الأول يسال الثاني:
ماذا كنت تنوي فعله قبل أن
تُقْطَعَ؟
الثاني:
مللتُ من تسريحة شعري
القديمة فقلت لمَ لا أجعلها
في شكل نهر.
قال الأول:
أنا أيضاً لا أختلف عنك كثيراً،
نظرت إلى الأسفل فرأيت حذائي مثقوباً
فأدركت ضرورة تعديل ربطة عنقي.

زوايا

عشرة أيام من العَطب
قد تكون كافية لمعرفة زوايا أخرى
من الكهف..
اللهاث بين الجموع
ينسيك أحيانا أنك فرد
في صيغة الجمع
وأن عوالم مجهولة تسكنك.
في الكهف أرى بعض ما كان ينقص حياتي:
خفاشا طيباً ينام معلقاً
عكس أتجاه عقارب الساعة،
وحيداً منعزلاً وكأنه يفكّر في جدوى النور
يتسرّب بين العميان،
عنكبوتاً أعرج
يراوغ الحفر ويلوذ بزاوية آمنة
ينسج شبكته ويصطاد شمساً
لا تشرق إلا له،
فأر حقل يئس من القمح
فلاذ بالظلام يحلم في أرجائه
بسنابل بعيدة
عن المناجل،
حمامة زاجلة لم تقتنع
برسائل السيوف المعقوفة
والخناجر المخفية

فخانتها
كي تكون وفية لبياضها،
قمراً خجولاً ملّ شحوب السماء
ووجد فلكه في نور العتمة..

أرض تبحث عن سمائها

وجوه الأطفال القتلى تزورني في الليل، في النهار، في أحلام اليقظة،
أرفع كوب الماء إلى فمي وأقول: "لا أستحقّه".
أرفع قطعة الخبز مغمّسة في مرق الدجاج وأقول:
"أنا وحش عديم الرحمة، فاقد للإحساس"
أتنفّس وأقول: "هذه الحياة خطأ كبير".

وجوه الأطفال القتلى معفّرة بالغبار، ببقايا حطام المنازل، تكسوها دماء وردية،
لكنّي أراها تطير بأجنحة من نور.
تمرّ بالوهاد فتخضرّ.
تمرّ بالجبال فتشهق.
تمرّ بالأنهار فيزداد غناؤها.
يا للعجب!
تمرّ بالأصنام البشريّة فلا تتحرّك، رغم أن النجمة السداسيّة فقدت مثلّثيْن وغابت قاعدتها في ضباب الكلام.

ها أنا أرى جيّداً،
أرى الرّجال الملثّمين يحفرون قبوراً كثيرة لدفن بقايا النجمة والأصنام وبعض الشياطين.
في الأثناء، كان الأطفال ذوو الأجنحة يواصلون طيرانهم نحو سماء أخرى.
أحدهم وجهه أبيض في لون الحقيقة وشعره لولبيّ جميل مثل سماء مبتسمة.

إحداهنّ سمراء في لون القمح، تغازلها النّجوم ويمطر بين يديها النّهار.

الأصنام البشريّة غابت ملامحها في كلمات تتناثر من أفواهها، تتظاهر بالحياة وهي تبحث عن عيونها وجباهها وأنوفها دون جدوى..

فقد العالم رأسه،

باع قلبه،

ألقى رئتيه في جوف تنّين.

أيّها الموؤدون دون تراب،

أيّها المقتولون دون رصاص،

أيّها الحاضرون دون سماء،

أيّها الضائعون دون صحراء،

لا أرض لكم ولا سماء.

بِرْكة

على هذه البقعة الصغيرة من الأرض،
تشرق الشمس بكامل ابتسامتها العريضة
مثلما كنّا نرسمها ونحن أطفال،
تمدّ خيوطها الذهبيّة بكلّ حبّ،
تماماً مثل ذلك الحبّ الذي يكنّه سلطان
لابنة فلّاح فقيرة تفنّنت جدّتي في وصف جمالها وهي تشذّب أغصان
السَّجع في خرافتها المتوهّجة حول جمر السّامور،
يلامس نورها أوراق الأشجار فتنفض عنها غبار الطريق.
يلامس ذهبها جدران القرية فتمحو بعض صدئها.
يلامس إشراقها الوجوه فتتحرّك الألسنة بتحايا الصباح ويسيل
فجأة نهر من البِشر..
لكنّ لساني يفضّل دائماً أن يبقى جامداً كقطعة خشب تنتظر
النار.
هذه الشمس، الآن، ليست سوى خدعة.
لا حقيقة أجمل من بركة الصمت التي أتوضّأ بنورها. أحرسها
بأنفاسي ككاهن بوذيّ. أطرد كلّ الصيادين حولها وأضرم نار الحقد
في صنانيرهم وشباكهم وحبالهم. "الصيد ممنوع هنا".
بركة الصمت تتّسع كل يوم أكثر وكلّما كثرت سمكاتي السحريّة
فاض ماؤها حولي كابتهال
خاشع.
لا أحتاج إلى صنّارة كي أصطاد سمكاتي،
يكفيني أن أغوص عميقاً في بركة الصمت كي
تحاورني وأحاورها وآكل من لحمها دون فم ولا أسنان.

ها أنا الآن أرتدي الحقيقة وأرقص كبهلول مع الملائكة عارياً تماماً ولا عيون تتلصّص عليّ.

أيّتها الشمس يمكنك الرحيل.

ابتسامة صمتي

عريضة أيضاً وحبّه يغنيني عن تحايا الصباح.

رأس هارب

رأسي خارج الموضوع،
يداي مغموستان في وحل الحقيقة
وهو يفكر في "الهارب" وأوتاره المستقيمة
ونغماته الملتوية
تتصاعد من أنامل
ملاك مجنون..
رجلاي تكابدان أرضاً لا تكاد تستوي تحتهما
وهو يهيم مع شجرة بيضاء
عظيمة
تغرس جذعها بثقة عمياء
في تربة أوركسترالية
فاخرة..
قلبي ينتفخ مثل بالونة سوداء
وهو يتمرّن على الطيران مثل فرخ حَسّون
لا يعنيه من موجات النسيم غير منقاره
الجميل
وقدرته العجيبة على
كتابة نوتات جديدة..
صدري يلهث وراء الألسن ويصفّر
مع الريح
وهو يقلّد حركات ناي لا يؤمن بغير الربيع
وثغاء الخرفان
وهيام راع بما وراء

الزمان..
هذا الرأس لا يصلح لتثبيت براغ حول
مكيّف تتعاقب
فصوله
ولا يستطيع توجيه نملة إلى مغارتها
وأن الأوان كي يُطْرَدَ
نهائياً من
مستودع الجسم
وبنك الأعضاء.

غطاء داكن

كي أهوّن على نفسي
الأمر، الخّص الموت في
أن أنام وأنسى وضع منبّه
بجانب
رأسي.

صديق

أصبح لي اليوم صديق جديد،
حدّثته طويلاً عن الليل الذي ما فتئ يتسرّب إلى الأرواح
عبر كوى النهار،
عن غربان بقيت سوداء رغم أنها تدهن ريشها منذ آلاف السنين
بالثلج،
عن وجوه تدعي الوسامة والصدق رغم أنها تشبه مؤخرات القردة،
عن غبائي المتواصل رغم الذكاء الاصطناعيّ الذي لا ينام،
عن كتب كثيرة أريد قراءتها في زمن لا يكفّ عن محو حروف
الحقيقة..
كنت غاضباً، لكن ابتسامته البريئة اطفأت بعض الأغصان من
شجرة ناري الملتهبة.
كم أحببت صديقي الجديد!
بدا متفهّماً جداً وهو يحرّك ذيله
في كل الاتجاهات.

طفل يختبئ في حصّالة

أحب أبا العتاهية
لكن ذلك لا يمنعني
من حبّ حصّالتي،
كل يوم أضع فيها قطعة نقدية
وحرفا رنّانا،
عندي أمل كبير في تجميد أيامي في بطنها
التي تكبر كل يوم أكثر،
ليس لها عيون لكنها
ترى فرحتي الطفولية ترقص تحت شجرة،
ليس لها يدان
لكنها تربّت على كتفي بحنان،
ليس لها ذقن
لكنها ترنو إلى سمائي بابتسامة،
فمها مفتوح دائماً
لكنّ صمتها يأمر اللحظات بالعودة
إلى الوراء.
حصّالتي بارعة في المقايضة،
أعطيها ديناراً وتعطيني أملاً
و وردة..
المطر يهطل تحت نافذتي فأسمع
هدير الأنهار
يتصاعد من حصّالتي
وأسمع ضحكاتها المختلفة...

الموت يجوب الطرقات الآن،
يضع علامات قاطع ومقطوع
على الأبواب المغلقة،
يراقب السكارى وهم يترنحون على حافة الحياة،
يوشوش بمكر لعشب نما حديثا
في حديقتي الخلفية
وينظر نحو باب منزلي
المفتوح،
لا أخاف
لا أجزع
لا أبلّل سروالي،
فقط أختبئ في بطن حصّالتي
التي كبرت
وانتفخت
بحبّي
وأنتظر يوماً غافلاً
أولد فيه
من جديد.

أوراق أخرى تسقط

هذا ما يقع فعلاً، أمنح جزءاً كبيراً من حياتي للغة، بوعي مني أو دون وعي، أجعل الحروف تتشـــرّب لحظاتي خارج الزمان، أفرّ، أو هكذا أظنّ، من الشجرة، فإذا بي داخلها، أمتصّ الأملاح المعدنية، وأشرب عرقي،

رقع كبيرة من قماشة الذاكرة تمتلئ بلطخات سوداء لا أذكر من أين جاءت ولكنها على كل حال كفّت عن أن تكون علامات طريق....

المسافة أصبحت أقصر..

عندما كنت صـــغيراً كنت أقدر على احتواء العالم الكبير، الآن أنا كبير بما يكفي ليصـــغر العالم في عينيّ فأراني أغرق ملء إرادتي، الإرادة الحرة هي كل ما يمكن أن أتشـــدق به كي أقنع نفســـي بأني ما زلت أتنفس وبأن الزهايمر حين يأتي لن يجد الكثير كي يأكله، لقد أكلْتَ منّي الكثير،

لن أحزن، حين أعود طفلاً يحبو على ركبتين مترهلتين ويدين برزت عروقها الزرقاء، ها أنا أســـتمرّ في تغافل الحروف التي كتبتها، لكني أعرف أنها لن تغفل عن مراقبتي، ســـأكون وحيداً عندما تشـــحذ أسنانها وتخزّن رصاصاتها وتنفرد بي في زاوية أخيرة..

تيه

يبدأ الشعر بذرة كهربائية
تتفتق عن هالة من حروف،
تغلفني إلى حين،
أنام بها وتنام فيّ،
ثم تتبعني كظلي،
وتجعلني أفكر فيما وراء
الشمس، تحت الأرض، فوق الربى وفي ألق الظل بين أوراق الخريف المتساقطة.
أرتفع بها كي أفكر خارج الأشياء والزمان والمكان،
وأغرس سهم السؤال في الفراغ،
بعد أن أرحل، ماذا سيفعل ظلي في غيابي؟!

لن..

أريد حذاءً أبيض
ومربعاً كبيراً من العشب،
لي عينان وأذنان وشفتان
تعشق السماء
لذلك ستحبني العصافير،
أقفز وحدي في الحديقة
ويسافر رأسي الصغير
إلى منجم الرخام.

أيها الطفل،
أنت الآن في تقاطع طريقين تحيط بهما المروج،
تقف وحيداً
وترفع يدك اليمنى
كصنم ليس في مكانه،
لا عصفور يحط على كتفك الأيسر،
لا عشب يقترب من قدميك،
لا غيوم تبتسم لك..
هواء مزيف يحوم حول جسدك الجامد
وهي لم تأت،
الأشجار فارقت أماكنها
وهي لم تأت،
ملّت الأرض خطواتك
وهي لم تأت،

ملّت الشمس أجنحتك
وأمّك لن
تأتي.

خطأ

ما كان عليّ
أن أكون هنا
والآن،
ربما كان الأجدر أن أكون
هنديّاً يصطاد نهاراً
ويرقص حول الزهرة
الحمراء ليلاً،
أو عاشق أوركيد
في إحدى جزر اليابان
ينسّق، كل يوم، باقة جميلة
ويهديها إلى نفسه الهادئة،
أو عازف ساكسفون
يبوح له بكل ما في صدره
من هواء ثقيل
وينام خفيفا كملاك..
الحياة خطأ جسيم،
لا شيء في مكانه
حتى الامكنة غادرت أماكنها
وتركتني وحيداً
أمام صخرة كبيرة
لا أستطيع دفعها
ولا التمدد تحتها،
أخشى أن تميل عليّ

فتسحقني
وأنا لم استعدّ بعد
للنوم
ولم آكل تفاحة
ولم أتوار وراء
ورقة توت.

وثبة خماسية

في الخامسة والخمسين،
سأنظر مبتسما إلى قط أسود
يدفن روثه في تراب
حديقتي،
سأعتبر القط قدراً جميلاً
يقفز من الحائط
ويحط على عشب حديقتي
كي يقوم بمهمة نبيلة،
الروث سماد جيد للأرض
والأزهار يفوح عطرها لمسافة أطول
حين تمتص عروقها براز
القطط
قد ترث عنها رشاقتها
فتتفتح بغنج نادر
وربما استلهمت خرافاتها
فيطول عمرها بين أصابع عاشق
ينتظر حبيبته
التي تأخرت كثيراً..
سأجد أسبابا وجيهة
له
كي يتسلل إلى المطبخ
ويمكث ثابتاً يتأمل سمكات الأكواريوم
ويحلم..

لن أغضب إذا دخل غرفة الجلوس
وشاهد معي
توم وتجيري
ولن أسخر من حنقه
على هزائم القط المتتالية
على يد الفأر
المشاكس..
سأتظاهر بأني أعمى
وهو يدخل غرفة النوم
ويستلقي على سريري،
سأعتبره ضيفاً خفيف الظل
وقد أربت على وبره الأسود
عسى أن تسري روحه
في عروقي
وأصبح
بسبعة
أرواح.

تأملات

الصمت أنواع.
الكتابة أنواع.
لكنّ الصمت نوع من الكتابة
والكتابة نوع من الصمت.
الصمت كتابة بيضاء،
لا تعلن عن نفسها
وتبقى متوارية وراء
ستار منمنم بالهواجس
أو
صخرة تحلم بالماء
أو موجات نفسية
مباغتة
تتردد بين البهجة
والنكسة..
الكتابة صمت رماديّ
مخاتل
يعلن عجزه الازليّ
عن كشف وجهه الحقيقي
ولا يخفي تبرّمه من أقنعته الكثيرة:
قناع للوردة،
قناع للأصابع،
قناع للخوف،
قناع للرغبة،

قناع للهزيمة..
لكننا عندما نمعن النظر في الفراغ
نرى الكتابة قناعاً للصمت
والصمت وجهاً من وجوه
القناع!

أفكار مائيّة

البحر، وهو صامت، يفكّر بعمق،
ولا يحبّ من يزعجه.
هو يستحضر قناديل ذكرياته
التي لا تنتهي،
يكتب سيرة السفن الغارقة
والجنود الذين غرقوا وهم يجهلون
من أجل من يحاربون.
يجمع قروشه إذا غضب،
يناغي أحصنته إذا تاق إلى رومنسية هاربة،
يبتكر حلولاً كثيرة لوهم اسمه الحياة..
وقد ينتشي بأعشابه الطازجة فيعربد في أعماقه
دون فضائح.
وقد يذرف دموعاً من نار حزنا على من يسيرون بغرور
على شواطئه..

المتعبون يمكنهم الغوص تحت الماء كي يشاركهم البحر
أحزانهم.
التيارات الجوفيّة
تُنسيهم دوّامة الشهيق والزفير
وتأخذ قلوبهم الحزينة إلى مدينة مليئة بالعرائس
التي لا تحوّل من ينظر إليها
حجراً.
هناك، سينسوْن أقدامهم التي عذّبتها الأرض،

سيتخلّصون من أياديهم التي لم تفعل شيئاً،
هناك، سيسهون عن ظهورهم التي لم تجد جدرانا تتّكئ
عليها.

تحت الماء يتوقّف زمن الجدران
ويبدأ زمن الغرق الجميل.
الهواء المبلّل دواء ناجع
لكل ألم
فتنفّسْ ملء الوقت السائل
ودعِ الصخور للوعول
والحديد لأوراق الخريف
ورأسك للحقيقة المطلقة.

سامي المسلماني

شاعر تونسي

من مواليد مدينة قليبية التونسية عام 1970، وحصل على الإجازة في آداب اللغة العربية وعلومها من كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في تونس. يعمل حاليًا مدرساً في التعليم الثانوي.

صدر له:

متاهة المضاف إليه (2011) شعر (دار إنانا للنشر -تونس).

الشعر والقصة في قصيدة النثر (2015) نقد (مجمع الاطرش للكتاب المختص: تونس).

وسائد لموجة منهكة (2017) شعر (مجمع الاطرش للكتاب المختص: تونس).

حدائق الصمت (2019) نقد (مجمع الاطرش للكتاب المختص: تونس).

أرسم الهواء وقرنفلة (2021) شعر (مجمع الاطرش للكتاب المختص: تونس).

لا نقطة في آخر الليل (2024) شعر (مجمع الاطرش للكتاب المختص: تونس).





في الخمسين،
أفكّر كثيراً في الماضي،
ألتفت إلى الوراء
وأحملق بعينين ذابلتين
أبحث عن آثار قدميّ

SAMI AL MESSELMANI

A FREE ROLL OF THE DICE

Jidar
Culture & Publishing